

مُخْتَصَرُ زَادِ الْمَعَادِ

لِلإِمَامِ ابْنِ قَيِّمٍ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ

مُجَرِّدُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ

الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّيْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ

صَحَّحَهُ وَقَتَّابَهُ عَلِيُّ أَصُولِهِ

فضيلة الشيخ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّعْدِيُّ

فضيلة الشيخ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّبْرِينِي

دَارُ السَّلَامِ

الرياض

اختص الله نفسه بالطيب

والمقصود أن الله سبحانه اختار من كل جنس أطيبه، فاختصه لنفسه، فإنه سبحانه وتعالى طيب لا يجب إلا الطيب، ولا يقبل من القول والعمل والصدقة إلا الطيب.

وهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشقاوته، فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن قلبه إلا به.

فه من الكلام الكلام الطيب الذي لا يصعد إلى الله إلا هو، وهو أشد نفرة عن الفحش في المقال والكذب والغيبة والنميمة والبهت وقول الزور وكل كلام خبيث.

وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطيبها، وهي التي أجمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية، وزكته العقول الصحيحة، مثل أن يعبد الله وحده لا شريك له، ويؤثر مرضاته على هواه، ويتحب إليه بجهد، ويحسن إلى خلقه ما استطاع، فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوه به.

وله من الأخلاق أطيبها، كالحلم والوقار، والصبر والرحمة، والوفاء والصدق، وسلامة الصدر، والتواضع، وصيانة الوجه عن بذله وتذلل لغير الله.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها، وهو الحلال الهنيء الذي يغذي البدن والروح أحسن تغذية مع سلامة العبد من تبعته.

وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها، ومن الأصحاب إلا الطيبين، فهذا من قال الله فيهم: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل: الآية ٣٢] ومن الذين تقول لهم خزنة الجنة: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ [الزمر: الآية ٧٣] وهذه الفاء تقتضي السببية، أي: بسبب طيبكم فادخلوها.



فصل



في وجوب معرفة هدي الرسول

ومن هاهنا يعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، فإنه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته، فأی حاجة فرضت وضرورة عرضت، فضرورة العبد إلى الرسول فوقها بكثير.

وما ظنك بمن غاب عنك هديه، وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي، وما لجرح بميت إيلا^(١).

وإذا كانت السعادة معلقة بهديه ﷺ، فيجب على كل من أحب نجاته نفسه، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن خطّة الجاهلين.

والنّاس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

(١) عجز بيت للمتنبی وصدرة: من یمن یسهل الهوان علیه.



فصل



في هديه في الوضوء

سان ﷺ يتوضأ لكل صلاة في غالب أحيانه، وربما صلى بوضوء واحد.

وكان يتوضأ بالمد تارة وبثلثيه تارة، وبأزيد منه تارة^(١) وكان من أيسر الناس صباً لماء الوضوء، ويحذر أمتة من الإسراف فيه، وصح عنه أنه توضأ مرة مرة، ومرتين مرتين، وثلاثاً ثلاثاً.

وفي بعض الأعضاء مرتين، وبعضها ثلاثاً، وكان يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة، وتارة بغرفتين، وتارة بثلاث، وكان يصل بين المضمضة والاستنشاق. وكان يستنشق باليمنى ويتنثر باليسرى، وكان يمسح رأسه كله تارة، وتارة يقبل يديه ويدبر بهما. ولم يصح عنه أنه اقتصر على مسح بعض رأسه ألبته، ولكن كان إذا مسح على ناصيته كمل على العمامة، ولم يتوضأ إلا تمضمض واستنشاق، ولم يحفظ عنه أنه أحل بهما مرة واحدة. وكذلك الوضوء مرتباً متوالياً، ولم يخل به مرة واحدة، وكان يغسل رجله إذا لم يكونا في خفين ولا جوربين، ويمسح أذنيه مع رأسه ظاهرهما وباطنهما.

وكل حديث في أذكار الوضوء التي تقال عليه فكذب، غير التسمية في أوله، وقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» في آخره.

وحديث آخر في سنن النسائي: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»

ولم يكن يقول في أوله: نويت. ولا أحد من الصحابة ألبته. ولم يتجاوز الثلاث قط.

وكذلك لم يثبت عنه أنه تجاوز المرفقين والكعبين. ولم يكن يعتاد تنشيف أعضائه.

(١) المد: إناء يتسع للماء الكفين من الحبوب.

في هديه ﷺ في الصيام

لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حذنها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار المقربين، وهو لرب العالمين من بين الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته، فهو ترك المحبوبات لمحبة الله، وهو سر بين العبد وربّه، إذ العباد قد يطلعون على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك ذلك لأجل معبوده، فأمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

وله تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وأمر ﷺ من اشتدت شهوته للنكاح، ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

وكان هديه ﷺ فيه أكمل هدي، وأعظمه تحصيلاً للمقصود، وأسهله على النفوس، ولما كان فطم النفوس عن شهواتها ومألوفاتها من أشق الأمور، تأخر فرضه إلى ما بعد الهجرة، وفرض أولاً على وجه التخيير بينه وبين أن يُطعم كل يوم مسكيناً، ثم حتم الصوم، وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة إذا لم يطقا، ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا، ويقضيا، والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما كذلك، وإن خافتا على ولديهما زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم، فإن



فصل



في هديه ﷺ في حجه وعمره

اعتمر ﷺ بعد الهجرة أربع عمر كلهن في ذي القعدة.

الأولى: عمرة الحديبية سنة ست، فصده المشركون عن البيت، فنحَرَ وحلق حيث صُدَّ هو وأصحابه وحَلُّوا.

الثانية: عمرة القضية في العام المقبل دخلها، فأقام ثلاثاً، ثم خرج.

الثالثة: عمرته التي قرنها مع حجته.

الرابعة: عمرته من الجعرانة، ولم يكن في عُمره عمرة واحدة خارجاً من مكة، كما يفعله كثير من الناس اليوم، وإنما كانت عمره كلها داخلاً إلى مكة، وقد أقام بعد الوحي بمكة ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه أنه اعتمر خارجاً من مكة، ولم يفعله أحد على عهده قط إلا عائشة، لأنها أهدت بالعمرة، فحاضت فأمرها فقرنت، وأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفاء والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها، فوجدت في نفسها أن ترجع صواحبتها بحج وعمرة مستقلين، فإنهن كن متمتعات، ولم يحضن، ولم يقرن، وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها، فأمر أخاها أن يعمرها من التمتع تطييباً لقلبها، وكانت عُمره كلها في أشهر الحج مخالفاً لهدي المشركين، فإنهم يكرهون العمرة فيها، وهذا دليل على أن الاعتمار في أشهر الحج أفضل منه في رجب بلا شك، وأما في رمضان، فموضع نظر، وقد صح عنه أن «عمرة في رمضان تعدل حجة» وقد يقال: كان رسول الله ﷺ يشتغل في رمضان من العبادات بما هو أهم من العمرة مع ما في ترك ذلك من الرحمة لأمته، فإنه لو فعل لبادرت الأمة إلى ذلك، فكان يشق عليها الجمع بين العمرة والصوم، وكان يترك كثيراً من العمل يجب أن يعمله خشية المشقة عليهم.